

مؤن المسلمين في غزوات عصر الرسالة

المدرس الدكتور
مشتاق بشير الغزالي
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

أولاً: المقدمة

كانت ولا تزال سيرة ومغازي رسول الله (ص) محط اهتمام وعناية المسلمين وغيرهم ، و يمكن لنا القول دون مبالغة ان سيرة رسول الله (ص) وكل ما يرتبط بها من احداث ووقائع وشخصيات هي من اكثر الموضوعات دراسة وبحثاً واهتماماً على الإطلاق .

لهذا أثرنا ان نبحت في موضوع مهم يرتبط بالسيرة والغزوات التي قادها او بعثها رسول الله (ص) ، نحو مناطق عدة من شبه الجزيرة العربية ، تلك الغزوات التي أسهمت في صنع مستقبل الاسلام والمسلمين ، الا اننا لن نبحت في تفاصيل الغزوات ونتائجها بقدر ما سنوجه العناية نحو المؤن الغذائية التي اعتمد عليها اولئك المسلمون خلال سعيهم للجهاد في سبيل الله .

فما انواع تلك المؤن ؟ وماهي مقاديرها ؟ وكيف حصل عليها المسلمون ؟ تساؤلات مهمة يمكن ان يثمر البحث عن الاجابة عنها من خلال عملية تفصي دقيقة لروايات المغازي عن حقائق تاريخية مفيدة .

ان تتبع كل ما يتصل بالمؤن قد يصب في ميدان المعرفة التاريخية ولا نستغرب ان يكون لبعضها دور في تنفيذ ما عده بعضهم حقائق مسلم بها ، فضلاً عما تطلعنا عليه هذه الروايات من وضع الدولة الناشئة الاقتصادي او التطورات الحاصلة على احوال الجيل الاول من مجتمع المدينة ، من خلال ملاحظة التحسن في انواع ومقادير المؤن التي يتجهز بها الجند ، وهكذا فموضوع البحث في غاية الاهمية ، ولنا ان ندرك ذلك

من خلال ما ورد في الرواية الآتية :

لما خرجت قريش لانقاذ قافلة ابي سفيان في السنة الثانية من بعد الهجرة سارت لمواجهة رسول الله (ص) عند آبار بدر ، تتحدث احدي الروايات عما نحره زعماء قريش للجيش طوال الطريق الى المعركة ، فكان ابو جهل بن هشام اول من نحر لقريش بمنطقة مَرّ الظهران وقد نحر عشر جزائر (١) ، ثم صفوان بن امية الذي نحر تسع جزائر في عسفان (٢) ، وعشر جزائر نحرهن سهيل بن عمرو بمنطقة قديد ، وفي مناة التي اقاموا بها يوماً نحر لهم ثيبة بن ربيعة تسع جزائر ، وفي الجحفة (٣) نحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر ، ثم اصبحوا بالابواء فنحر لهم قيس بن قيس تسع جزائر ثم العباس بن عبد المطلب نحر عشر جزائر ثم الحارث بن عامر بن نوفل نحر تسعاً ، ثم البختري في منطقة آبار بدر نحر لهم عشراً ، ثم مقيس السهمي كذلك على آبار بدر نحر تسعاً حتى شغلتهم الحرب (٤) .

نلاحظ مما ورد ان جيش المشركين لم يكن بحاجة الى اكثر من عشر جزائر لاطعامه ، وهكذا كان طعامهم يومياً يتراوح ما بين (٩ - ١٠) جزائر ، ان التعرف على نوع ومقدار طعام المشركين يجعل من السهل تحديد دقيق لعدد المقاتلين وعدم التسليم لاي مبالغة ان وردت ، لان كمية الطعام المعلومة لن تتناسب معه . ان معرفة انواع ومقادير ومصادر المؤن الغذائية لا يمكن ان تخلو من فائدة علمية ، واللافت للنظر ان رسول الله (ص) قد اعتمد هذا الاسلوب في التعرف على اعداد المقاتلين في جيش المشركين حين بقي القبض على عدد من اسراهم قبيل معركة بدر ،

الصيف الحار لا بد من ان يتزود افرادها بمواد غير سريعة التلف بسبب الحرارة الشديدة، وهكذا في فصل الشتاء حيث يكون الاختلاف عن الصيف .

سنحاول ان نُجمل انواع المؤن الغذائية التي اعتمد عليها المسلمون في غزواتهم وفقاً لما وجدناه في الروايات ومصادر الحصول عليها .

١ : الماء

لقد انعم الله تعالى على الانسان وسائر المخلوقات بهذه الهبة العظيمة حيث قال تعالى في كتابه العزيز : (وجعلنا من الماء كل شيء حي) (١٠) ، فالماء اذن يقف في مقدمة متطلبات الحاجة الانسانية لاجل ديمومة استمراره بالحياة ، و يمكن عده من المؤن التي يتجهز بها المقاتل ، لاسيما في منطقة يغلب عليها الطابع الصحراوي المعروف بحرارة الجو صيفاً ، لذلك كان الماء من أهم ما يتجهز به المقاتل المسلم حين يتوجه لغزوة ما .

لقد اخبرتنا الروايات التاريخية كم من مرة تعرض المسلمون لعطش شديد لولا عناية الله وحفظه لهم تبارك وتعالى ، ففي ظل الحسابات الطبيعية نجد ان للماء تأثيراً كبيراً على الجند في ظل بيئة صحراوية شديدة الحرارة ، ومن تلك المواقف الصعبة ما تعرض له المسلمون في غزوة تبوك التي خرجت في شهر محرم من السنة التاسعة للهجرة .

حيث كان المسلمون قد بلغوا الثلاثين ألفاً من المقاتلين ، وقد اصابهم عطش شديد كاد ان يفتك بهم مثلما جاء عند المقرئزي (١١) ، لولا عناية الله وفرجه حين افاض عليهم بالماء ، فكان غوثاً محموداً بعد عطش شديد . ويورد ابن سعد (١٢) في روايته وصفاً مشابهاً فيقول : « ان المسلمين خرجوا في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا في حر شديد فاصابهم يوماً عطش شديد حتى جعلوا ينحرون ابلهم فيعصرون اكراشها يشربون ماءها فكان ذلك عسرة في الماء وعسرة في النفقة » .

وهكذا فخرج الغزوة في فصل الصيف الحار ، غالباً ما يكون مليئاً بالمعاناة مع قلة الماء أو عدم كفاية ما محمول منه ، لاسيما وان المسلمين في بعض الغزوات قد بلغوا اعداداً كبيرة وساروا نحو مناطق بعيدة عن مركزهم (المدينة) .

فسألهم (ص) عن عدة قريش فاخبروه : « انهم ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً ، واعلموه بمن خرج من مكة ، فقال صلى الله عليه واله وسلم : القوم مابين الألف والتسعة مئة » (٥) .

ثانياً: المؤن

المؤن أصلها في اللغة مونٌ ، يمُون - مائه احتمل مؤنته وقام بكفايته فهو مؤنٌ ، ويقال مان الرجل أهله ، أي كفاهم وقدم لهم ما يحتاجون من مؤونة (٦) .

ويرد ذكر كلمة مؤنٌ فيقال مؤنٌ فلان أي اكثر النفقة على عياله او أدخراً ما يلزمه من المؤونة (٧) .

والمؤونة هي القوات وما يدخر منه ، وبيت المؤونة هو ما توضع فيه المؤونة من السمن والزيت الى غير ذلك ، والموان هو الذي يسعى الى جمع المؤونة وتقدّمها (٨) .

والمؤنة اصطلاحاً هو نظام تتبعه الدولة لتأمين حاجة رعاياها بغض النظر عن صفتهم من الغذاء (٩) . الا ان دولة المسلمين الناشئة في مدينة يثرب ، لم تكن قادرة على تأمين الاحتياجات المسلمين ولاسيما في السنوات الأولى بعد الهجرة ، لقلة ما تمتلكه من اموال . فالمهاجرون وصلوا الى يثرب بأنفسهم بعد ان تركوا كل ما يملكون بمكة ، والأنصار لم يكونوا بأصحاب رؤوس اموال طائلة ، لذلك واجه رسول الله (ص) في السنوات الأولى ظائفة مالية كبيرة ، وادت هذه الظروف الى ان يعتمد المسلمون في مؤنهم الغذائية على مصادر بسيطة ارتكزت بشكل خاص على جهود الأفراد التي عوّضت غياب جهاز يختص في عمله على تأمين المؤن الغذائية للجند .

لقد اعتمد المسلمون في غزواتهم على انواع كثيرة من المؤن الغذائية ولاريب في ذلك ، فقد سلكوا في معاركهم وغزواتهم طرق كثيرة وساروا باتجاهات مختلفة ، ووصلوا الى مناطق بعيدة عن مركزهم (المدينة) ، ومن ثم جاء تعدد انواع المؤن من تعدد المناطق التي وصلوا اليها ، فمناطق شمال الجزيرة تختلف في طعامها عن جنوب الجزيرة وهكذا ينشأ الاختلاف والتعدد في المؤن . ثم ان الطقس وتعاقب فصول السنة ، لهما تأثير على تعدد انواع المؤن ايضاً ، فإذا كان خروج الغزوة في

وما دمنا نتحدث عن اهمية الماء بوصفه احد انواع المؤن المهمة في الغزوات ، نجد من الضروري الاشارة الى قضية خطيرة وذات صلة بالموضوع ، قد نسبت الى شخص رسول الله (ص) ، الا وهي استعمال الماء سلاحاً لإضعاف اعدائه مشركي مكة ، وهذا ما اكدت عليه روايات عدة تحدثت عن واقعة بدر ، واشارت بصراحة الى ان رسول الله (ص) قد منع الماء عن اعدائه .

كرواية ابن اسحاق هذه التي يقول فيها : « فحدثت عن رجال من بني سلمة ، انهم ذكروا : أن الحباب بن المنذر بن الجموح قال : يارسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أمنزلاً أنزلكهُ الله ليس لنا ان نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ فقال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القُلْب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤ ماءه ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله (ص) : لقد أشرت بالرأي » (١٣)

وفي رواية اخرى جاء : « فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله (ص) . . . فقال رسول الله (ص) : دعوهم ، فما شرب رجل يومئذ الا قتل ... » (١٤) .

المقد عُرف رسول الله (ص) بالخلق الانساني الرفيع ، وان سياق ما اورده هذه المصادر التاريخية من منه الماء عن اعدائه او استخدامه طعم لقتلهم ، لا يتناسب تماماً مع ما عرف عنه من خلق . ناهيك عن مواقف مختلفة صدرت عن ائمة ال البيت (ع) في مناسبات مشابهه ، على الرغم من ان ائمة ال البيت (ع) قد نهلوا وتربوا وتخلقوا من فيض خلق الرسول (ص) .

فالاختلاف في المواقف يدعونا للشك فيما ورد بهذه الروايات من ان رسول الله (ص) قد منع الماء عن اعدائه ، ولو تتبعنا سيرة الامام علي (ع) وكيف تعامل مع اعدائه في معركة صفين ، لوجدنا ان هنالك اشارات صريحة الى انه (ع) قد سمح لهم بشرب الماء بعد ان منعه هو وجيشه من ان يصل اليه .

اذ ورد في كتاب نصر بن مزاحم (١٥) مايلي : « فلما غلب علي على الماء فطرد عنه اهل الشام ، بعث الى معاوية انا لا نكافيك بصنعمك هلم الى الماء فنحن وأنتم فيه سواء فأخذ كل واحد منهما بالشرعة مما يليه » ، ورد الامام (ع) على اعتراض اصحابه بقوله

٢ : التمر
التمر كان من بين ما يعتمد عليه المقاتل المسلم من مؤن غذائية ، ولا شك في ذلك فهو متوفر في منطقة شبه الجزيرة العربية بكثرة ، ويتمتع بكونه غذاءً متكاملًا ، وقد توفرت لدينا مجموعة من الروايات التي تشير الى اعتماد المسلمين على التمر غذاءً رئيساً لهم .

١- جاء في الكامل (١٧) : « ان عمير بن الحمام قال عندما اقترب جيش المشركين في معركة بدر حيث كانت بيده تمرات يأكلهن يخ بخ افما بيني وبين ان ادخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم كذب التمرات من يده واخذ سيفه فقاتل القوم حتى استشهد » .

٢- اورد المقرئزي (١٨) انه لما نزل رسول الله (ص) وهو في غزوة الحديبية في الثانية قال : « من كان معه ثفلٌ - أي دقيق - فليصطنع ، فقال ابو سعيد الخدري : وأينما معه ثفلٌ ؟ ... إنما كان عامة زادنا التمر » .

٣- جاء في الطبقات (١٩) عن غزوة الحديبية كذلك : « ان ابا بصير خرج حتى اتى العيص ، فنزل منه ناحية على ساحل البحر على طريق عير قريش الى الشام وعندما خرج لم يكن معه الا كف تمر فأكله لمدة ثلاثة ايام » .

٤- وفي غزوة تبوك : « ان رسول الله (ص) كان جالساً مع اصحابه فجاء رجل من بني سعد هذيم فسلم على رسول الله (ص) فقال له اجلس ، ثم قال (ص) يا بلال أطعمنا فبسط نطعاً (٢٠) ، ثم اخرج من حمية له خرجات من تمر معجون بسمن وأقط ، ثم قال عليه السلام كلوا ، فأكلوا حتى شبعوا ... » (٢١) .

٥- ذكر الواقدي (٢٢) في رواية مفيدة جداً : « ان عيس بن جبر قال للرسول (ص) عندما اراد ان يتجهز لغزوة خيبر بالمؤن :

اهلهم وعيالهم ، ولذلك كان من السهل حصولهم على خبز الشعير .

فقد ذكر عن جابر بن عبد الله ، انه رأى رسول الله (ص) في غزوة الخندق يحفر وراءه خميصاً (٢٣) : «فأتى الى امرأته فأخبرها ما رأى من خميص رسول الله (ص) فقالت والله ما عندنا شيء الا هذه الشاة ومُد من شعير ، قال فاطحنى وأصلحي ، فطبخوا بعضها وشووا بعضها وخبزوا الشعير ثم اتى جابر الى رسول الله (ص) وقال له يارسول الله قد صنعت لك طعاماً ، فأنت انت ومن احببت من أصحابك فشبك (ص) اصابعه بين اصابع جابر ثم قال اجيبوا جابراً يدعوكم فاقبلوا معه فقال جابر في نفسه والله انها الفضيحة ، واتى امرأته واخبرها فقالت له دَعَهُمْ فهو أعلم ، واقبل رسول الله (ص) واخرجوا من التنور الخبز ثم غطوه ففعلوا وجعلوا يغرفون ويغطون الثمرة ثم يفتحونها فما يرونها نقصت شيئاً ويخرجون الخبز من التنور ويغطونه فما يرونه ينقص شيئاً ، فاكلوا حتى شبعوا وأكل جابر وأهله (٢٤) .

ونعتقد هنا بان الجند المسلمون لم يعتمدوا كثيراً على خبز الشعير في خروجهم للغزوات كما هو اعتمادهم على التمر ، ويبدو ان السبب في ذلك يرجع الى ان تحضير خبز الشعير يحتاج الى وقت وجهد قد يشكل عبثاً على المسلمين لاسيما وهم في طريقهم للقتال او خوضهم لغماره ، الا ان عدم عثورنا على روايات تشير الى اعتماد المسلمين على خبز الشعير في الغزوات لا يعني انهم لم يعتمدوه في مؤنتهم اطلاقاً ، فكونه غذائاً رئيساً للناس في يثرب يجعلنا نعتقد بانهم قد اعتمدوه في مؤنتهم في بعض الغزوات ، ولقد جهدنا لاجل ان نحصل في روايات المغازي الى ما يشير لذلك دون جدوى ، ولكن يبقى الاعتقاد قائم وان لم نتحصل على دليل مادي .

٤ : السويق

يعرفه ابن منظور (٢٥) فيقول هو : « ما يتخذ من الخنطة والشعير ، وهو من انواع الطعام المعروف لدى المسلمين انذاك (٢٦) . ويتم تحضيره بعد ان تحمص الخنطة او الشعير او نحو ذلك ، ثم تطحن ، ثم تكون جاهزة فيحملها المسافر او المرتحل معه ، فاذا اراد تناولها مزجها باللبن والعسل والسمن ثم تعجن ، فاذا لم تتوفر

يا رسول الله ما عندنا نفقة ولا زاد ولا ثوب نخرج فيه ، فاعطاه (ص) شقيقة سنبلانية وهو جنس من الثياب الطويلة ، فباعها بشمانية دراهم فابتاع ثمراً بدرهمين لزاده اثناء الغزوة وترك الباقي لاهله .

بما يلاحظ على ما جاء في هذه الروايات ، مجموعة من الاشارات المهمة على صعيد تموين الجند ومصادر ذلك التموين ، فقد دلت كل الروايات على ان التمر كان غذاءً أساسياً يغني عن أي غذاء اخر يتوفره ، مثلما اشارت الرواية الثالثة الى ان احد المسلمين قد تقوت بكف ثمر مدة ثلاثة ايام عند خروجه لغزوة الحديبية ، ثم ان الروايات الاولى والثالثة ولاسيما الخامسة دلت على ان المقاتل المسلم كان يتكفل تجهيز نفسه بالمؤن الغذائية في بعض الغزوات دون الاعتماد على الدولة في ذلك ، واذا ما عجز المسلم عن تجهيز نفسه فالدولة متمثلة بشخص رسول الله (ص) تعينه على ذلك ، على ان الروايتين الثانية والرابعة اشارتا الى اجتماع المسلمين على ما تيسر لهم من طعام .

وهكذا نلاحظ ان المسلمين لم يكونوا على حال واحدة ، وهذا راجع الى قلة ما يملكونه المسلمون من اموال ، فضلاً عن عدم وجود مؤسسة مسؤولة عن توفير المؤنة للجند ، كون الدولة ما زالت ناشئة ويعوزها الكثير من المؤسسات الادارية . والمهم هنا اننا وجدنا أهمية التمر بصفته ابرز انواع المؤن التي اعتمد عليها المسلمون في غزواتهم .

٣ : خبز الشعير

لقد اعتمد مجتمع المسلمين في غذائهم على خبز الشعير ، وقد ورد عن رسول الله (ص) تناوله لخبز الشعير ووصاياه باكرامه ، وكان خبز الشعير الى جانب التمر من أهم المؤن الغذائية التي اعتمد عليها الناس في المدينة .

الا اننا لم نعثر على ما يشير الى اعتماد المسلمين على خبز الشعير خلال خروجهم في الغزوات ، الا في معركة الخندق ، وهي المعركة التي دافع خلالها المسلمون عن دينهم وانفسهم ومدينتهم ، وقد جرت كل احداثها ضمن حدود هذه المدينة ، بمعنى ان المسلمين لم يقاتلوا خارج حدود المدينة ، وكانوا قريبين من

تلك المواد مزجت بالماء (٢٧) .

ومن الطريف ان سميت احدى الغزوات باسم غزوة السويق (٢٨) ، ويشير ابن هشام (٢٩) الى ان سبب تسمية هذه الغزوة بالسويق ، راجع الى كثرة ما حمل المسلمون معهم من السويق في ازوادهم ، وكثرة ما تناولوه طوال تلك الغزوة لذلك سميت بهذا الاسم .

والسويق هي من المواد الغير قابلة للتلف وتحتوي على مواد معدنية مفيدة للجسم بما تعطيه من طاقة كبيرة ، وقد اشارت مجموعة من الروايات الى اتخاذ المسلمين السويق طعاماً لهم في خروجهم للغزوات ومن هذه الروايات :

اولاً : يذكر في غزوة خيبر ان رسول الله (ص) سار حتى وصل الى الشهباء وهو موضع بينه وبين خيبر ، فصلى بها العصر ، ثم دعا بالأطعمة فلم يؤت الا بالسويق والتمر ، فأكل الرسول (ص) وجيشه من المسلمين (٣٠) .

ثانياً : ذكر ان رسول الله (ص) عندما عزم السير الى غزوة تبوك : «أرمل الناس (٣١)أرمالاً شديداً ، فشخص على ذلك حتى استأذنه ان ينحروا ركابهم فأذن لهم ... ثم امرهم ان يمسكوا ونادى مناديه في المسلمين : من كان عنده فضل زاد فليأت به وامر بالانقطاع فبسطت ، فجعل الرجل يأتي بالمد الدقيق والسويق او التمر او القبضة من الدقيق والسويق والتمر والكسر ، فيوضع كل صنّف على حدة ، وكل ذلك قليل . فكان جميع ما جاؤا به من الدقيق والسويق والتمر ثلاثة أفرق (٣٢)حزراً . ثم توضأ وصلى ركعتين ودعا الله ، ونادى مناديه : هلموا الى الطعام وخلوا منه حاجتكم فاقبل الناس فجعل كل من جاء بوعاء ملاء ... فجعل الناس يتزودون حتى نهلوا من آخرهم ... فجعل رسول الله (ص) يقول وهو واقف : اشهد ان لا اله الا الله واني عبده ورسوله واشهد انه لا يقولها أحد من حقيقة قلبه الا وقاه الله حرّ النار» (٣٣) .

ثالثاً : وذكر عن ابي بكر انه دخل على زوجة رسول الله (ص) السيدة عائشة وهي تجهز للرسول (ص) لفتح مكة ، فوجدها تعمل سويقاً وقمحاً وتمر (٣٤) .

لقد استعرضنا اربعة انواع من المؤن الغذائية التي اعتمد عليها المسلمون في غزواتهم خلال عصر الرسالة ، ومن الجدير بالذكر هنا ان هذه الانواع لم تكن الغذاء الوحيد للمسلمين بقدر ما كانت أكثر الأنواع استهلاكاً لديهم خلال الغزوات ، والا فقد عثرنا على مجموعة من الروايات التي تشير الى انواع اخرى من الغذاء ، اعطينا دلالة على انهم كانوا يقتاتون على كل ما يتوفر لهم من غذاء أياً كان نوعه او مقداره .

وكي نطلع على باقي انواع المؤن الغذائية للمسلمين في عصر الرسالة نستعرض الروايات الاتية التي تبين باقي الانواع :

١- خلال المسير الى غزوة ذات الرقاع (٣٥) ، ذكر ان عليّ بن زيد الحارثي جاء بثلاث بيضات وجدّها في مفحص نعام فأمر جابر بن عبد الله بعملها فوثب ، فعملها واتى بها في قصعة فأكل (ص) واصحابه منه بغير خبز والبيض في القصعة كما هو وقد اكل منه عامتهم (٣٦) .

٢- ذكر ان الجوع الشديد قد اصاب المسلمين في احدى الغزوات التي سميت بسرية الحَبَط وكان اميرها ابو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح ، فجمعوا زادهم حتى كانوا ليقسموا التمرة ، ولم يكن معهم حمولة انما على اقدامهم واباعر يحملون عليها زادهم ، فأكلوا الحَبَط (٣٧) ، حتى ابتاع قيس بن سعد بن عبادة خمس جزائر كل جزور بوسقين من تمر ، ثم اخذ ينحر كل يوم جزوراً للقوم لمدة ثلاثة أيام ، حتى وجدوا حوتاً يقال له العنبر قد القاه البحر ، فأكلوا منه لمدة اثنتي عشرة ليلة (٣٨) .

٣- وفي رواية اخرى : ان سعد بن عبادة اخذ معه ثلاثين بعيراً حتى وصل الى حمراء الاسد ، وساق معه جزاراً لينحر البعيران لاطعام الجيش (٣٩) .

٤- لما كان رسول الله (ص) متوجهاً والمسلمين في الحديبية نحو العمرة سأله بعضهم عن صيد نوع من الحشرات تسمى (أضب) كان الاعراب يحرسون على صيده وأكله فقال (ص) : «كلوا فكل صيد البر لكم حلال في الاحرام تأكلونه الا ما صدتم او صيد لكم» (٤٠) .

٥- وفي الحديبية ايضاً رأى ابو قتادة حمراً وحشياً فحمل عليه وقتله ، فأكل منه رسول الله (ص) (٤١) .

عطاء معروف ومستمر .

ولقد رصدنا بعض الروايات التي تطلعنا على مصادر المؤونة التي اعتمد عليها المسلمون في الغزوات :

١- ففي غزوة الخندق ولما كان رسول الله (ص) والمسلمون محاصرين من الاحزاب اصابتهم مجاعة شديدة ، فكان اهلهم يبعثون لهم بما يتمكنون عليه ، فأرسلت عمره ابنة رواحة ابنتها بحفنة تمر الى زوجها بشير بن سعد بن ثعلبة الانصاري واخيها عبدالله بن رواحة ، فوجدت رسول الله (ص) جالساً بين اصحابه فقال لها : تعالي يا بنيته ما هذا معك ؟ فأخبرته فأخذه في كفيه ونثره على ثوب ثم قال لجعل بن سراقه : أصرخ يا اهل الخندق ان هلموا الى الغذاء فاجتمعوا عليه يأكلون منه (٤٢) .

٢- وفي غزوة الحديبية ان عمرو بن سالم وبسر بن سفيان الخزاعيين أهديا رسول الله (ص) غنماً وجزوراً كما اهدى عمرو بن سالم لسعد بن عباد جزوراً اذ كان صديقاً له فجاء سعد بالغنم الى رسول الله (ص) واخبره ان عمراً اهداها له فقال له (ص) وعمرو قد اهدى الينا ما ترى ، ثم أمره (ص) بالجزر تنحدر وتنقسم بين اصحابه (٤٣) .

٣- وفي غزوة خيبر اقبلت غنم لليهود بينما المسلمون في حصار الحصن الصعب ، فقال (ص) من رجل يطعمنا من هذه الغنم فقال ابو اليسر كعب بن عمرو بن عباد بن سواد بن غنم : انا يا رسول الله وخرج يسعى مثل الظبي فقال (ص) اللهم متعنا به فادرك الغنم وقد دخل اولها الحصن فأخذ شاهتين من آخرها واحتضنهما ثم اقبل الى الرسول (ص) فأمر بها (ص) فلبحتا وقسمتا فما بقي أحد من أهل المعسكر المحاصرين في الحصن الا أكل منها وكانوا عدداً كثيراً (٤٤) .

٤- ذكر في غزوة ذات السلاسل ان عوف بن مالك الاشجعي خرج يوماً في المعسكر فمر بقوم قد عجزوا عن نحر جزورهم وعملها فقال لهم اتعطوني عليها واقسمها بينكم ؟ فجعلوا له عشيراً منها فنحرها وجزأها بينهم ، واخذ جزءه واتى به اصحابه فطبخوه واكلوه ... (٤٥) .

٥- وذكر ان عاصم بن عدّي تصدق بتسعين وسقاً (٤٦) من التمر في غزوة تبوك (٤٧) .

بناءً على ما جاء في هذه الروايات فإن المؤونة الغذائية لم تكن

يتبين لنا بعد هذا الاستعراض لانواع المؤن ، ان حاجة المسلمين الشديدة قد فرضت عليهم الاعتماد على ما تيسر لهم من غذاء أياً كان نوعه او مقداره ، ويدعوننا هذا الامر للنظر باحترام كبير لذلك الجيل الاول الذي لم يتوقف بجهاذه وكفاحه لنشر الاسلام امام عقبات واطار كثيره ، قلة الغذاء وصعوبة الحصول عليه كانت من بين اهمها ، فقد اضطررتهم الحاجة الى ان يتمنون على الخبط وهو ورق اشجار كانت الابل تعلق منه ، واكلوا (الضب) وهو نوع من انواع الحشرات وتقوتوا على لحم حمار وحشي وحوث بحري ومواد اخرى ، ولكنهم لم يتوقفوا حتى تمكنوا من نشر الاسلام في ربوع شبه الجزيرة العربية بفتح وتوفيق من الله تبارك وتعالى .

ثالثاً: مصادر مؤن جيش المسلمين

من المعلوم ان رسول الله (ص) وبعد ان هاجر الى المدينة ، اخذ يؤسس دولة الاسلام منذ ذلك التاريخ ، وهو فضلاً عن كونه النبي المرسل اصبح القائد العسكري ورئيس الدولة الناشئة ، لذلك كان من واجبه ان يؤمن المؤن الغذائية للمقاتلين خلال خروجهم للمقاتل ، ولكن ضعف الجانب الاقتصادي لهذه الدولة الناشئة ، كان سبباً مهماً في الاعتماد على مصادر متنوعة لتأمين المؤن ، مصادر غير خاضعة لتخطيط سابق او حسابات عملية او تحضيرات تسبق كل غزوة ، وانما بقيت هذه التجهيزات المهمة خاضعة للظروف وما تجود به من مؤن غذائية ، فغالباً ما يعتمد المقاتل على تجهيز نفسه بنفسه ، والى جانب ذلك قد نجد الهدايا التي يجود بها بعض الميسورين من المسلمين لاطعام اخوانهم او هدايا تساق لشخص الرسول (ص) اذا ما مر ببعض المناطق او القبائل المرتبط معها بمواثيق ومعاهدات واحلاف ، وكذلك قد يعتمد المسلمون على ما يقع بايديهم من الحيوانات من خلال صيد او غنيمة .

وهكذا لم يكن لديهم مصدر رسمي يؤمن لهم مؤنهم الغذائية ، كما هو حال الجيوش الإسلامية التي شهدت تطوراً كبيراً خلال العصور الإسلامية اللاحقة ، حينما تأسست المؤسسة العسكرية على نمط منظم وارتبط المقاتل ارتباطاً وظيفياً لقاء

- ٣/ الجحفة: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على اربع مراحل ، وهي ميقات اهل مصر والشام ان لم يمروا على المدينة ، وكان اسمها مهيمة وانما سميت بالجحفة لان السيل اجتحتها وحمل اهلها في بعض الاعوام . وهي الان خراب ، بينها وبين المدينة ستة مراحل وبينها وبين غدير خم ميلان . ينظر: ابن عساكر ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١١١ .
- ٤/ ينظر: المقرئ ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) ، امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والخفدة والمتاع ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، (القاهرة - ١٩٤١) ، ص ٤٥٥ .
- ٥/ المقرئ ، امتاع الاسماع ، ص ٧٧ .
- ٦/ مصطفى ، ابراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة مصر ، (القاهرة - ١٩٦١) ، جـ ٢ ، ص ٨٩٩ .
- ٧/ المصدر نفسه والصفحة نفسها .
- ٨/ المعلوف ، لويس ، المنجد في اللغة ، ط ٢١ ، مطبعة دار المشرق ، (بيروت - ١٩٧٣) ، ص ٧٨٠ .
- ٩/ مصطفى ، المعجم الوسيط ، جـ ٢ ، ص ٨٩٨ .
- ١٠/ سورة الانبياء ، الآية (٣٠) .
- ١١/ امتاع الاسماع ، ص ٤٥٦ .
- ١٢/ محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤م) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، (بيروت - ١٩٦٠) ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ ؛ كذلك: السيوطي ، ابي الفضل جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٨٥) ، جـ ١ ، ص ٤٥٧ ، ٤٥٤ ، ١٣٠ . ينظر: ابن هشام (ت ٢١٨هـ / ٨٣٣م) ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار احياء التراث العربي ، (بيروت - لا.ت) ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ؛ كذلك: الاندلسي ، ابي الريح سليمان بن موسى الكلاعي (ت ٦٣٤هـ / ١٢٣٦م) ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي ، عالم الكتب ، (بيروت - ١٩٩٧) ، جـ ٢ ، ص ٢٠ - ٢١ .
- ١٤/ ابن هشام ، السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٤ .
- ١٥/ المنقري ، نصر بن مزاحم بن سيار (ت ٢١٢هـ / ٨٢٧م) ، وقعة صفين ، مكتبة آية الله المرعشي ، (قم - ١٤٠٣هـ) ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .
- ١٦/ المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤ . لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر: المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١٦٢ - ١٦٩ .
- يهياً لها في السابق للمقاتل قبل خروجه للغزوه وانما ترك هذه القضية للظروف . وكما سبق واشرنا الى ان ضعف العامل الاقتصادي كان سبباً في عجز الدولة الناشئة عن تأمين المؤن للمقاتلين ، فضلاً عن ان عصر الرسالة ولا سيما السنوات الأولى من بعد الهجرة لم يكن جيش المسلمين بتلك الاعداد الكبيرة التي تمتع بها في العصور الاسلامية اللاحقة ، وقلة الاعداد هذه ولا سيما في الغزوات الاولى التي لم يتجاوز عدد المقاتلين في بعضها عدد اصابع اليدين ، ولذلك كانوا يعتمدون على ما يقع بين ايديهم من مؤن من دون تجهيز او تحضير سابق ، ولكن هذه الحال لم تكن لتنجح مع الاعداد كبيرة جداً التي اضحى عليها جيش المسلمين في نهاية عصر الرسالة .
- ويشكل عام نقول ان ضعف الدولة اقتصادياً ، وكونها ناشئة ، جعل من الافراد يديرون احوالهم ويؤمنون احتياجاتهم بأنفسهم ، مما ادى بالمقاتل لان يتعرض للجوع الشديد في حالات كثيرة . ومع ذلك لاحظنا روح التعاون والتأزر التي اسس لها ورسخها بشكل عميق ما جاء به الاسلام ، اذ كانوا يفتشون تلك الكميات الصغيرة من الطعام فيما بينهم مما اشاع حالة من الحب والألفة والأخوة بين مجتمع المسلمين الاول .
- لقد تبين لنا الان ومن خلال استعراض هذه الروايات ان الجيل الاول من صحابة رسول الله (ص) ، قد تحملوا الكثير من الصعاب والمعاناة ناهيك عن تلك المخاطر المعروفة ، لاجل اعلاء كلمة لا اله الا الله ونشرها في ربوع شبه الجزيرة وما يجاورها ، فتحمل الجوع او الضنك الشديد في العيش ، يرافقه خطر الحرب دليل على عطاء وتضحية ذلك الجيل الذي حمل على اكتافه اعباء نشر الاسلام .
- هوامش البحث
- ١/ جزائر: من جزر الشئ ، يجزره جزراً قطعه ، والجزر نحر الجزائر الجزور ، والجزور الناقة المجزورة والجمع جزائر . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ .
- ٢/ عسفان: وتقع بين المسجدين وهي من مكة على مرحلتين وقيل عسفان قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهي حد تهامة . ينظر: ابن عساكر ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ / ١١٧٥م) ، معجم البلدان ، دار الفكر المعاصر ، (بيروت - ١٤١٣هـ) ، جـ ٤ ، ص ١٢٢ .

- ١٧/ ابن الاثير ، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (ت ١٢٣٢هـ / ١٢٣٢م) ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ١٢١ ، الاندلسي ، الكتفاء ، ج٢ ، ص ٢٥ .
- ١٨/ امتاع الاسماع ، ج١ ، ٢٨٢-٢٨٣ .
- ١٩/ ابن سعد ، ج٢ ، ص ١٦٨ ؛ الاندلسي ، الاكتفاء ، ج٢ ، ص ١٨٣
- ٢٠/ النطع: قطعة من الجلد تفرش فيوضع عليها الأكل . ينظر: الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جوهر القاموس ، تحقيق عبد العليم الطحاوي ، مطبعة دار المعارف ، (القاهرة - ١٩٦٣) ، ج٤ ، ص ٣٤٧ .
- ٢١/ المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص ٤٦٢ .
- ٢٢/ الواقدي ، ابو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ / ٨٢٢م) ، المغازي ، تحقيق مارسدن جونسن ، عالم الكتب ، (بيروت - ١٩٦٤) ، ج٢ ، ص ٦٣٥ .
- ٢٣/ الخميمص: الضامر البطن من الجوع والخميص: ضمير من الجوع . ينظر: الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٧ ، ص ٥٦٥ .
- ٢٤/ المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص ٢٢٣-٢٢٤ ؛ الفريابي ، ابي بكر جعفر بن محمد بن الحسن (ت ٣٠١هـ / ٩١٣م) ، دلائل النبوة ، تحقيق عامر حسن ، دار حراء (مكة المكرمة - ١٤٠٦ هـ) ، ج١ ، ص ٥١-٥٢ .
- للاطلاع على طريقة تحضير خبز الشعير في عصر الرسالة ينظر: ابن سعد ، الطبقات ، ج٢ ، ص ١٢٩ .
- ٢٥/ ابن منظور ، محمد بن مكرم الافريقي المصري ، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت - لا.ت) ، ج١٠ ، ص ١٧٠ .
- ٢٦/ ينظر: الرازي ، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٧٢١هـ / ١٣٢١م) ، مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، (بيروت - ١٩٩٥) ، ج١ ، ص ١٣٥ .
- ٢٧/ ينظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٥٠ .
- ٢٨/ غزوة السويق: وهي الغزوة التي جاءت على أثر غزوة ابي سفيان بن حرب نهاية السنة الثانية من الهجرة ، اذ خرج على رأس مئتي فارس من قريش لغزو المدينة ، فحرقوا بعض النخيل من ناحية منها تسمى الشريش وقتلوا رجلاً من الانصار مع حليف له ، وانصرفوا راجعين فلما علم بهم رسول الله (ص) خرج في طلبهم واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر (ابو لبابة) ولم يتمكن من اللحاق بهم ، اذ طرح المشركون ازوادهم تخفيفاً لهم وتسريعاً للنجاة من ان يظفر بهم المسلمون ،
- وسميت هذه الغزوة بغزوة السويق . ينظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٥٠-٥١ .
- ٢٩/ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ٥٠ .
- ٣٠/ الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص ٢٣٥ .
- ٣١/ أرمل: رمل نوع معروف من التراب وجمعه الرمال ، وأرمل ورمل الطعام جعل فيه الرمل ، وفي حديث الحمر الالهية أمر ان تكفأ القدور وان يرمل اللحم بالتراب أي يلت بالتراب لئلا ينتفع به ورمل الثوب ونحوه لطفه بالدم ويقال أرمل السهم ارمالا اذا اصابه الدم فبقي اثره وأرمل القوم: نفد زادهم ، كأنه لم يبق من طعامهم الا الرمل . ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج١١ ، ص ٢٩٤ .
- ٣٢/ أفرق: جمع فرق وهو مكيال ضخيم لاهل المدينة يسع ستة عشر رطلاً . ينظر: المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ص ٤٧٤ .
- ٣٣/ المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص ٤٧٣-٤٧٤ .
- ٣٤/ الواقدي ، المغازي ، ج٢ ، ص ٧٩٦ .
- ٣٥/ وهي احدى الغزوات التي خرج على رأسها رسول الله (ص) وكانت في سنة اربع للهجرة . لمزيد من التفاصيل حول هذه الغزوة ينظر: ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٣ ، صص ٢٢٥-٢٣١ .
- ٣٦/ المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص ١٩٢ .
- ٣٧/ الخبط: هو ورق العضاء ونحوه من الشجر يخبط بالعصا (يضرب) فيتناثر والورق الساقط هو الخبط ، كانت الابل تلعبه . ينظر: الزبيدي ، تاج العروس ، ج١٩ ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .
- ٣٨/ ينظر: المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص ٣٥٥ .
- ٣٩/ المصدر نفسه ، ص ١٦٧-١٦٨ .
- ٤٠/ المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ .
- ٤١/ المصدر نفسه والصفحة نفسها .
- ٤٢/ المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ .
- ٤٣/ المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .
- ٤٤/ المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .
- ٤٥/ المصدر نفسه ، ص ٣٥٣-٣٥٤ .
- ٤٦/ الوسق: مكيلة معلومة وقيل هو حمل بعير وهو ستون صاعاً بصاع النبي وهو خمسة أرتال وثلاث ، فالوسق على هذا الحساب مائة وستون مناً . ينظر: ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٠ ، ص ٣٧٨ .
- ٤٧/ المقرئزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص ٤٤٧ .